**الفراتيون الااوائل Proto-Euphrates**

في اربعينيات القرن العشرين حاول بعض العلماء وفي مقدمتهم الباحث لاندزبرجر دراسة الاثار المادية واللغوية التي خلفتها الاقوام العراقية القديمة التي عاشت في مدن جنوبي العراق في ألاف الخامس والرابع ق.م اي في الفترة التي سبقت ظهور الكتابة اذ تمكن من تحديد هوية تلك الاقوام بشكل تقريبي اذ لاحظ اثناء دراسته للنصوص السومرية والاكدية القديمة وجود بعض المفردات اللغوية الدخيلة في تلك النصوص الة لا تنتمي الى اللغة السومرية او الاكدية التان كانتا اللغتان الرئيستان في مدن جنوبي العراق في ألاف الثالث ق.م ومن جملة تلك المفردات الدخيلة اسماء كثير للمدن والأنهار وأسماء الحرف والصناعات والآلات الزراعية .. وغيرها واستنتج ان هذه المفردات لابد انها تعود الى لغة السكان الاوائل الذين سكنوا هذه المنطقة قبل السومريين و الاكديين وخلفوا لنا اثار مادية تمثل اثار الدور الحضاري الذي سماه المنقبون بدور العبيد نسبة الى تل العُبيد وقد اطلق لاندزبرجر على تلك الاقوام اسم الفراتيون الاوائل نظرات لأنهم عاشوا على اطراف الاقسام السفلى من نهر الفرات ونسب تلك المفردات الدخيلة اليهم اما هواية تلك الاقوام العرقية فما تزال الى الان غير معروفة على الاغلب .

ومن الجدير بالملاحظة ان نذكر ان النصوص التي تعود الى الاف الثالث قبل الميلاد قد ورد فيها اقوام اطلق عليهم سبارتو الذين استوطنوا الجزاء الشمالية من العراق في منطقة الجزيرة العليا شرق نهر دجلة ولا يعرف هوية السبارتو ولا اصولهم وربما كانوا من الاقوام الجبلية التي نزحت نحو المناطق السهلية واستقرت في اطراف من الموصل إلا انها بما لاقت ضغط من اقوام اخرى فانسحبت الى المناطق الجبلية ويعتقد بعض العلماء ان هؤلاء السبارتو هم جزء من سكان العراق الاوائل .

**السومريون**

أن أول النصوص الواضحة التي ورد فيها اسم السومريون كان في ألقاب ملوك حضارة وادي الرافدين (ملك بلاد سومر وبلاد أكد) واسم السومريون بمعناه الحرفي يعني (ارض سيد القصب او الأحراش) ولعل المقصود بسيد الأحراش اله سومري (انكي ـ أيا) ، وان هذا الاسم (سومر) مشتق من اسم مدينة في بلاد الرافدين وهي نفر وإنهم عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى الإقليم الذي استوطنوا فيه وهو في القسم الجنوبي من العراق وما يؤيد هذا الرأي ان الكثير من أقوام التاريخية التي اشتهرت في بلاد الرافدين وأسهمت في تكوين حضارته وإحداثه التاريخية سميت باسم المواقع التي حلت فيها مثل الأقوام الاكدية نسبة إلى مدينة اكد والبابليين نسبة إلى مدينة بابل والأشوريين نسبة إلى بلاد أشور ، أي ان التسمية لاحقة للاستيطان ومشتقة من اسم الموقع الجغرافي .

ويعود تاريخ السومريون إلى بداية العصور التاريخية التي عرفت بعصر فجر السلالات (او عصر المدن السومرية) مثل ( لكش وأور والوركاء ونفر وار يدو) وهي مدن قامت فوق قرى زراعية وهذا يدل على وجود أقوام سبقت السومريون في الاستيطان مئات أو الإلف السنين فعاش السومريون دون أي فوارق عرقية معهم وساهموا في بناء الحضارة في ارض بلاد الرافدين

**أصل السومريون :**

أما عن أصل السومريون وكيفية وصولهم إلى جنوب العراق فقد اختلفت الآراء وتعددت الاحتمالات حولهم ، ولعل أرجح هذه الآراء هو أن أصل السومريون لم يأتوا من جهات بعيدة من خارج البلد وإنما كانوا إحدى الأقوام المحلية التي عاشت في الجهات الشمالية من بلاد الرافدين في عصور ما قبل التاريخ ثم استقروا في السهل الرسوبي في حدود الألف الخامس قبل الميلاد وبعد ذلك بقليل عندما لصبح هذا السهل صالحا للسكن والاستيطان بعد ذلك ؛ بسبب الظروف الجغرافي الملائمة فيه وإنهم لم يكونوا المستوطنين الوحيدين ولا أقدم المستوطنين وإنما تعايشوا مع جماعات من أقوام أخرى ساكنة في هذا السهل وبهذا وبهذا نعرف ان السومريون هم من سكان البلاد الأصليين الذين أقام إسلافهم القرى الزراعية في شمال العراق ومما يؤكد هذا الرأي أيضا هو الميراث السومري وعلى رأس ذلك أدبهم وأساطيرهم وشعائرهم الدينية التي تشير إلى طبيعة بلاد الرافدين ولا سيما القسم الرسوبي بل ان طابع حضارتهم المميز مشتق من أصل وبيئة نهرية ذات أحراش وقصب ونخيل وطمى وفيضانات وهي أمور تنطبق جميعا على البيئة الطبيعية لبلاد الرافدين ، كما ان المكتشفات الأثرية في تلك المدن السومرية او الاكدية كانت جزء من حضارة واحدة هي الحضارة العراقية لتي ازدهرت في القسم الجنوبي وكان لها تأثير كبير على الأقوام الذين جاوروهم ولم يكن السومرين متأثرين بهم بل العكس وهذا يتضح من خلال الآثار الكثير التي وجدت في أقاليم كثير خارج بلاد الرافدين .

**اللغة والكتابة السومرية :**

اللغة السومرية هي لغة منفردة بنفسها من ناحية كونها لايمكن تصنيفها او إرجاعها إلى إحدى العوائل اللغوية المعروفة ألان فهي ليست من عائلة اللغات السامية ( الجزرية) ولا من عائلة اللغات الهندية الأوربية ، اذ يمكن ان نصف هذه اللغة بأنها لغة مطلقة .

اما اختراع الكتابة في بلاد الرافدين فيُعد واحدا من اروع المنجزات الحضارية التي حققها العراقيون القدماء لأهميتها القصوى في حياة الانسان قديما وحديثا الى درجة دفعت الباحثين المحدثين الى تقسيم العصور التي مرت على الانسان الى قسمين تفصل بينهما الكتابة.

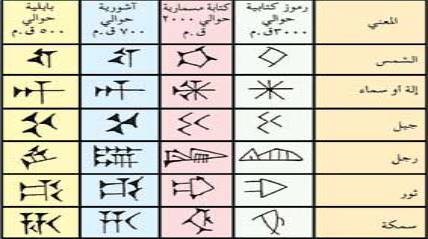
لقد غيرت الكتابة حياة الانسان تغيراً جذرياً حتى اعتقد القدماء من السومريين بأن مصدرها الهي واعتبروها (أبا وأما للبشر) على حد تعبير احد اقوالهم ألمأثورة ، ويعود زمن ظهور هذه الكتابة المدونة باللغة السومرية إلى الدور الأخير من عصر الوركاء (الطبقة الرابع من طبقات أو ادوار الوركاء) اي في اواسط الالف الرابع قبل الميلاد (3500 ق.م) وقد اصبحت الكتابة منذ اختراعها القارب الذي بواسطته انتقلت جميع التجارب والأفكار والقيم والتعاليم والعلوم والمعارف من جيل الى جيل عبر العصور المتتابعة فحفظت بذلك سجل تأريخ الانسان الذي غدا وكأنه ذاكرة البشرية ، يفيد منها البشر اينما كانوا وفي اي مجال ارادوا.

وبقيت اللغة السومرية هي اللغة المستخدمة لتدوين الكتابة حتى الألف الثاني قبل الميلاد ويطلق على هذه الكتابة اسم(الكتابة المسمارية) نسبة إلى إشكال الحروف التي تشبه رأس المسمار ، وقد مرت الكتابة السومرية بعدت ادوار ومراحل تطورت فيها الكتابة تطورا كبيرا وهذه المراحل هي :ــ

**المرحلة الصورية:** وهي استخدام العلامات الصورية للتعبير عن الأشياء المراد تدوينها أي ان كل صورة تمثل كلمة فمثلا إذا أراد شخص سمكة يكتفي برسم صورة السمكة وإذا أراد أناس يعملون في الحقل يكتفي برسم يد ، وقد وجدت ألواح من هذه الكتابة عرفت بألواح الاركائية في موضع يسمى شورباك (فارة حاليا) التي تقع على بعد 63كم جنوب شرق الديوانية ، كما وجدت ألواح أخرى من الحجر منقوشة بهذه الكتابة في مدينة الوركاء وكيش وكانت تستخدم هذه الطريقة البسيطة لتدوين واردات المعبد بالدرجة الأولى .

**المرحلة الرمزية :** وهي طريقة مختصرة للتعبير عن الأشياء التي بواسطتها يتم استعمال المعاني المشتقة من الأشياء المادية المدونة باللغة السومرية فأصبحت العلامات لا تعبر عن الشيء المراد تصويره فقط بل تشير إلى الأفعال مهمة تختزن بالعلامة نفسها فمثلا صورة القدم او الرجِل تدل على عدة أفعال منها( قام ، دخل، ذهب، جاء ....) وأصبحت هذه الطريقة وسيلة لتدوين شؤون الحياة المختلفة والسجلات الرسمية .

**المرحلة الصوتية :** وهي أخر مرحلة من مراحل الكتابة السومرية إذا استخدمت أصوات للعلامات المجردة من مدلولاتها الصورية والرمزية .



**الديانة ( الإلهة ، المعابد)**

أن أقدم المقومات العامة التي يرتكز حولها أولى المستوطنات في السهل الرسوبي كانت المعابد التي استمرت في تطورها سعةً وشكلا وعددا في الأدوار التاريخية التالية اذ كان المعبد مركز القرية الفلاحية ثم المدينة حيث تطورت القرى إلى مدن ثم إلى دولة مدينة (city state) حيث أصبح المعبد مدار حياتها الدينية والاقتصادية والاجتماعية اذ نجد ان مديري شؤون المعبد كانوا أقدم حكام في المجتمعات المتحضرة فكان الكاهن الأعلى (اين en) حاكم المجتمع المعبدي والمدني في نفس الوقت وبقي يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية حتى بدا الانفصال بين الوظيفتين في فترة ما من عصر فجر السلالات إذ ظهر الى جانب الكاهن الأعلى الحاكم الزمني المفوض من اله المدينة أو انه وكيل هذا الإله في إدارة دولته الأرضية وأطلق عليه مصطلح (انسي ensi) وأعقبه ظهور الملك ( لوكال lugal) حيث تسنى لحاكم إحدى المدن ان يبسط سلطانه على دول المدينة الأخرى (وهذا سيكون موضوع بحثا لاحقا في النظام السياسي ) وهذا نرى ان المعبد كان مركز الحياة الحضارية في بلاد الرافدين منذ ظهور أولى المستوطنات في الإلف الخامس قبل الميلاد .

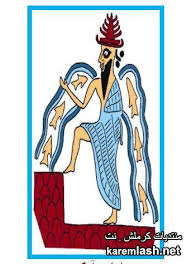
كما كان المعبد النواة الأولى التي ظهر فيها أعظم اختراع حضاري في منتصف الإلف الرابع ونعني بذلك ظهور الكتابة في الدور الأخير من عصر الوركاء حيث دعت الحاجة إلى إيجاد وسيلة لتدوين واردات المعبد الاقتصادية إذ عثر على أقدم كتابة صورية في منطقة معبد (أي ـ انا ) في مدينة الوركاء .

أما بالنسبة للإلهة في حضارة وادي الرافدين فان ما يلفت النظر إليه في جميع العهود هو كثرة الإلهة فيها وبتعبير أخر شيوع (مبدأ الشرك) بحيث يؤلف عدد الإلهة مجمعا ليس بصغير وان هذه الإلهة ما عدا تميزها بالخلود والقدرة فهي تشبه البشر في صفاتها الروحية والمادية وهذا ما يطلق عليه (بمبدأ التشبيه) إذ كانت الإلهة تمارس جميع الأفعال والإعمال كالطعام والشراب والزواج وإقامة الولائم وعقد مجالس الشورى والإلهة مثل البشر تغضب وتتخاصم فيما بينها وصار مجتمع الإلهة السماوي بموجب ذلك المبدأ نسخة ثانية للمجتمع البشري على الأرض .

ونرى ان الإلهة في حضارة بلاد الرافدين نشأة في الأصل من تأثير قوى الطبيعة واهم الظواهر البارزة في الكون ولا سيما القوة التي تؤثر في حياة القوم كالكواكب والظواهر الجوية وفي مقدمتها الشمس والقمر والسماء والهواء وعليه فقد كانت هذه الإلهة تختلف في درجاتها وقدسيتها ، وكان أعظم هذه الإلهة هم الإلهة العظام وهم الإله(انو) اله السماء، والإله (انليل) اله الجو (الرياح) والإله( انكي ـ ايا) اله الأرض والمياه .

أما الدرجة الثانية فهم الإلهة المحلية الخاصة بكل مدينة ومنها(الإله مردوخ ) اله مدينة بابل والإله(ننورتا) وهو ننكرسو اله الحرب وهو اله مدينة لكش ، والإلهة ( عشتار ـ انانا) آلهة مدينة الوركاء ، إضافة إلى آلهة أخرى .

أما الدرجة الدنيا فهي الإلهة التي تخص أصحاب البيوت والمزارات التي تقام في الطرقات .

الاله انكي (ايا) الاله اشور